كلمة ترحيب

سوزان عبد الرضا أبو رجيلي(*)

حضرات الزميلات والزملاء الكرام

منذ ما يناهز السنة، وُلدت فكرة حلقتنا الدراسية هذه من اثنين: حاجة علمية، وهم تربوي-اجتماعي. أما الحاجة العلمية فمفادها أن أوساط علماء الاجتماع والتربية والسياسة والاقتصاد في مختلف البلدان العربية تفتقر إلى مراجعات توليفية نقدية ميتابحثية في المجالات كافةً، وحول موضوع «التعليم والتغير الاجتماعي» خصوصاً، نظراً لأبعاده العلمية والتربوية والاجتماعية. وتبين لنا أن هذه الأوراق ينبغي أن تجمع بين طياتها أهم النتائج، أن تفنّدها وتقارنها على ضوء خلفيات الكتّاب النظرية والمنهجية، لتخلُص إلى تبلور الفكر في هذا المجال، وتبرز ارتباط هذا التطور بالمحيط البحثي السائد في كل حقبة.

وقد كشفت تجربتنا مع بعض الباحثين في إطار الاستعداد للحلقة عن إلحاح هذه الحاجة. بالفعل، لقد لفتنا التوجه الحاد لدى قسم من الزملاء إلى جمع النتائج وعرضها، أو إلى إجراء دراسات إضافية حول الموضوع، وفي المقابل كانوا يتجنبون إقحام أنفسهم في تحليل ونقد منطق الكتّاب ومنهجياتهم، لأسباب سوف نتباحث فيها معاً.

من هنا، أردنا هذا اللقاء حيزاً للتفكير والنقاش حول صيغنا وممارساتنا البحثية. عسى أن تساهم هذه المبادرة في كشف النقاب عن هوياتنا العلمية-أفراداً ومجتمعات- بقوتها وبضعفها، وفي حثنا على التقييم الذاتي المتجدد.

وأما الهم التربوي- الاجتماعي الذي حدانا، ففحواه أن بعض جوانب العلاقات

(*) دكتوراه نظام جديد-جامعة ليون الثانية. أستاذة متفرغة في الجامعة اليسوعية.

بين التعليم والتغير الاجتماعي في الدول العربية تمكث في الظل، بينما يدأب الباحثون أحياناً على تناول مواضيع غير ذات شأن في مجتمعاتنا المعاصرة، أو على إنهاك مواضيع أخرى رغبةً منهم في اتباع «موجات» بحثية شائعة. في هذه الحالات، يضحي من الطبيعي أن يتجنب القراء الأبحاث التربوية-الاجتماعية التي يتقوقع كتّابها ضمن مواضيع بعيدة عن إنسانية الإنسان وعن حاجات المحيط الاجتماعي.

بناءً عليه، نعتبر أن لهذه الحلقة دوراً ما في تسليط الضوء على موضوعات بحثية تجدونها أساسية، وعلى مقاربات تؤول إلى تقريب البحث العلمي من شجون التربويين واهتماماتهم. تحقيقاً لهذا الغرض، توزعت جلسات الحلقة وفقاً لمحاور ثلاثة حكمتها من جهة الأهداف الموضوعة، ومن جهة أخرى طبيعة المداخلات، فأتت متنوعة، بحيث يُعرض في الجلسة الأولى مداولة فكرية حول مسائل التعليم والتغير الاجتماعي عبر الزمان والمكان، ثم تحليل لأبحاثٌ تناولت العلاقات بين نظام التعليم وتطور الحياة الاجتماعية في كل من البحرين وليبيا. أما في الجلسة الثانية، فتهتم الأوراق بنقد الدراسات حول التعليم والتغير الاجتماعي والسياسي في مصر، وتأتي الجلسة الثالثة لتدرس التفاعلات بين مؤسستي تعليم ومحيطيهما الاجتماعي: الجامعة اللبنانية ومعهد عزرو في المغرب. ويُختم هذا اللقاء الميتامعرفي بخلاصة توليفية وباقتراح آفاق بحثية.

خلاصة القول أننا أطلقنا هذه الحلقة بمثابة دعوة للتداول ههنا حول كيفية جعل البحث التربوي-الاجتماعي في البلدان العربية أكثر موضوعيةً إزاء حساسياتنا الاجتماعية ومرونةً إزاء تشنجاتنا العلمية، وأوثق ارتباطاً بواقعنا.

كلنا ثقة بجهوزية الباحثين العرب للتعاون بهدف الاستجابة إلى الحاجة ومعالجة الهم، والدليل على ذلك هو الصدى الإيجابي الذي لقيته الدعوة للمشاركة في لبنان ومختلف البلدان العربية. علّ مقارباتنا النقدية لأطر ومنهجيات ومواضيع البحث في «التعليم والتغير الاجتماعي» تساهم في تطوير فعالية هذا الميدان البحثي على الصعيدين العلمي والاجتماعي.

نشكر من ساهم في تمويل هذه الحلقة، ونثمّن جهود اللجنة العلمية وفريق التحضير المتفاني فرداً فرداً.

أهلاً وسهلاً بالزملاء العرب واللبنانيين، ونتمنى للجميع أن يحقق التفاعل في هذا اللقاء ولو جزءاً من توقعاتهم، وأن يكون بداية لتعاون علمي وتربوي متواصل.